

# البحر المسجور



## الفصل السادس

oboiikan.com

## الفصل السادس البحر المسجور

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤  
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾ (الطور: ١-٦)

**التفسير اللغوي:**

تأتي هذه الآيات الكريمة في صورة قسم، وتعالى الله عن حاجته ؛ لأن يقسم، وبالتالي نستنتج أن للمقسم به أهمية خاصة ، فيقول تبارك وتعالى:

﴿وَالطُّورِ﴾: قال الجوهري: الطور: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وقال مجاهد: الطور بالسريانية الجبل، والمراد به طور سيناء، وقيل: هو الجبل الذي يكون فيه أشجار، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طورًا إنما يقال له: جبل.

﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ﴾ أي: كتاب. قيل: هو اللوح المحفوظ ، وقيل: الكتب المنزلة ، قال الفراء: ما تكتبه الحفظة: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (الإسراء: ١٣).

﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾: قال الجوهري: الرق بالفتح ما يكتب فيه ، وهو جلد رقيق ، وأما الرق بالكسر فهو المملوك، يقال: عبد رق وعبد

مرقوق، والمنشور أي: كتاب مسطور، ظاهر غير خفي، لا يخفى حاله على كل عاقل بصير.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ : قال ابن عباس: هو بيت في السماء، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه أبدًا، وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة، ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وقيل: هو بيت الله الحرام والمعمور بالطائفين، والمصلين.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ : قال ابن عباس: هو العرش وهو سقف الجنة، وقيل: هي السماء؛ لأنها للأرض كالسقف للبيت بيانه: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ (الأنبياء: ٣٢)

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ : لفظ البحر، اسم جنس يعني: البحار العظيمة، وسجر التنور في اللغة أي: أوقد عليه حتى أحماه، والعقل العربي وقت تنزيل القرآن الكريم ولقرون طويلة من بعد ذلك لم يستطع أن يستوعب هذه الحقيقة، كيف يكون البحر مسجورًا والماء والحرارة من الأضداد؟ الماء يطفئ الحرارة، والحرارة تبخر الماء، فكيف للأضداد أن تتعايش مع بعضها البعض دون أن يلغ أحدهما الآخر فيكون البحر مسجورًا؟!

إن تفسير هذه الآية المعجزة في زمن البعثة المحمدية، وما بعدها لقرون طويلة أمر مستحيل، فلا العقول مستعدة لفهم هذه المعجزات، ولا العلم موجود لبيان معاني هذه الآية. ولذلك فقد اختلف أهل التأويل في معني كلمة: ﴿الْمَسْجُورِ﴾ فقال بعضهم ما يلي:

أولاً: تشير هذه الآية إلى ما سيحدث يوم القيامة استناداً إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: ٦) أي: أوقدت فصارت ناراً، قال: سعيد بن المسيب: قال عليٌّ عليه السلام لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر. قال: ما أراك إلا صادقاً. وتلا: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ ، ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

ثانياً: وعن مقاتل قال: روي عن عليٍّ عليه السلام أنه قال في: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ : هو بحر تحت العرش، عمره كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ، يقال له: بحر الحيوان، يمطر العباد بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً فينبتون في قبورهم.

ثالثاً: بحث بعض المفسرين للوصول إلى معني لغوي لكلمة (مسجور) غير معني إشعال النار؛ لأن القسم في مطلع سورة الطور كله بأمور واقعة في الزمن الحاضر، ولذلك فإن البحر المسجور الذي أقسم الله به لأهميته لا بد وأن يكون موجوداً فعلاً؛ لأن الله لا يقسم بشيء غير موجود، ولا يقسم إلا بعظيم، ومن ضمن المعاني لكلمة (سجر):

١- قال مجاهد (المسجور): هو المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته، مؤداه أن الله تعالى يمن علينا بأنه ملأ منخفضات الأرض بالماء.

٢- قال علي بن طلحة، المراد المسجور: المنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها؛ فيغرق أهلها. وهذا المعني يعتبر أيضاً صحيحاً؛ إذ أن أكبر كمية من الماء العذب توجد في الأرض حالياً محجوزة على هيئة ثلوج موجودة بالقطين الشمالي والجنوبي، بالإضافة إلى الثلوج

التي تغطي قمم الجبال الشاهقة، وإذابة هذا الكم الهائل من الثلوج لا يحتاج إلا زيادة من ٤-٥ درجات مئوية في درجة حرارة الجو عن معدلاتها الطبيعية في فصل الصيف، وإذا حدث ذلك سيرتفع مستوى المياه في البحار عن مستوياتها الطبيعية مما سيؤدي إلى إغراق أغلب الأراضي التي يقطنها الإنسان حالياً، وهذا الأمر ليس من الخيال العلمي؛ لأن الأرض قد مرت بها فترات كانت البحار فيها أكثر غمراً لليابسة من حدود شواطئها الحالية، كما مرت بها فترات كانت أشد انحساراً عن حدودها الحالية، والضابط في الحالتين هو كم الجليد فوق القطبين وعلى قمم الجبال، فإذا زاد كم الجليد انخفض منسوب الماء في البحار، وإذا نقص ارتفع منسوب المياه في البحار.

٣- قال قتادة، المسجور: هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب. قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار: ٣) أي: تنشفها الأرض فلا يبقى فيها ماء، وعن ابن عباس قال: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ أي: الفارغ، خرجت أمة تستسقي فرجعت، فقالت: إن الحوض مسجور، يعني: فارغاً. رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء.

ويلاحظ أن مفسري القرآن الكريم حاولوا تفسير هذه الآيات قدر استطاعتهم، وعلى حسب ما توفر لهم من علوم ومعارف، وليس هذا عجز منهم، وإنما هو عجز المعرفة في أزمانهم، كما شاءت الإرادة الإلهية أن يتأخر الكشف عن مخبوءات هذه الآيات إلى حين ينضج الفكر البشري ويرتقي علم الإنسان.

## الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

أوضحت نتائج الأبحاث العلمية الحديثة في مجال الجيولوجيا الآتي:

أولاً: أن القشرة الأرضية ليست متصلة تماماً، بل تتركب من مجموعة من الألواح، وتؤدي حركة هذه الألواح إلى تصادمات مستمرة فيما بينها ينتج عنها تصدع للقشور الأرضية، ولذلك يظهر الغلاف الصخري الخارجي للأرض، وهو ممزق بشبكة من الصدوع تمتد لمئات من الكيلو مترات طولاً وعرضاً بعمق يتراوح بين ٦٥، ١٥٠ متراً (شكل ٢٦)، ومن الغريب أن هذه الصدوع مرتبطة ببعضها البعض ارتباطاً يجعلها كأنها صدع واحد، ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الظاهرة بقوله تبارك وتعالى:

﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ أَصْنَعٍ﴾ (الطارق: ١٢)

وفي هذه الآية الكريمة إعجاز واضح، فالله تعالى يقسم بصدع واحد الذي هو عبارة عن اتصال مجموعة الصدوع، يشبهه العلماء باللحام على كرة التنس، هذه الحقيقة الكونية المبهرة لم يستطع العلماء أن يدركوها إلا بعد دراسات استمرت لأكثر من ٢٠ سنة (١٩٤٥ - ١٩٦٥) حتى استطاعوا أن يرسموا هذه الصدوع بالكامل، والقرآن الكريم كان قد سبق إدراكهم بأكثر من ألف وأربعمائة من السنين.

وقد يتساءل الإنسان عن سر وجود هذه الصدوع! ولماذا جعل الله الأرض متصدعة في معظم أجزائها؟... إن الجواب عن ذلك بسيط، فلولا هذه الصدوع، ولو كانت القشرة الأرضية كتلة واحدة لا شقوق فيها، لانهبس الضغط تحتها بفعل الحرارة والحركة، وأدى ذلك إلى

تحطم القشرة الأرضية وانعدمت الحياة على الأرض، ولذلك يمكن القول أن هذه الصدوع بمثابة فتحات تنفس منها الأرض، وتخرج شيئاً من ثقلها وحرارتها وضغطها للخارج، وبتعبير آخر هي صمام أمان الذي يحفظ استقرار الأرض وتوازنها. قال تعالى:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨).

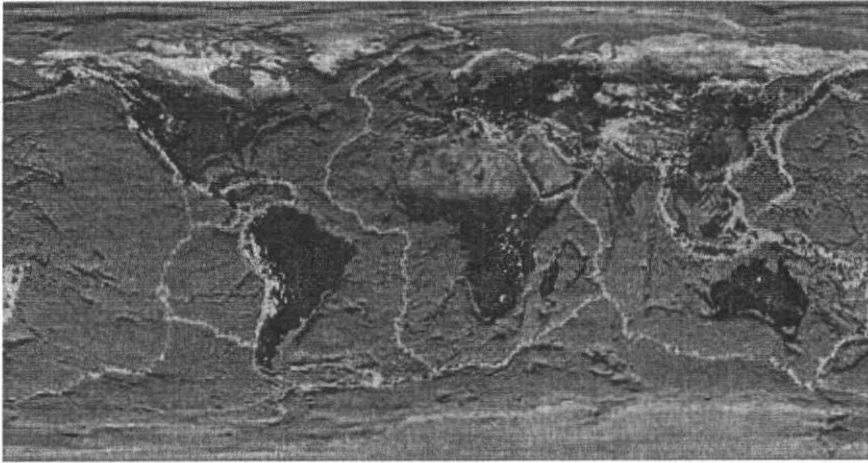
ثانيًا: اكتشف العلماء أن هذه التصدعات الأرضية تكثر في البحار والمحيطات - من رحمة الله بنا - وينتج عنها ملايين الأطنان من الحمم المنصهرة (Magma) من باطن الأرض على شكل براكين، فالنيران تشتعل في قاع البحار بشكل دائم، واما على كثرته لا يستطيع أن يطفى جذوة هذه الحرارة العالية ولا الحرارة على شدتها (أكثر من ألف درجة مئوية) تستطيع أن تبخر هذا الماء (شكل ٢٧، ٢٨)، ويعتبر هذا الاتزان بين الحرارة والماء من أكثر ظواهر الأرض إبهاراً للعلماء، ولذلك فإن حقيقة البحر المشتعل أصبحت يقيناً ثابتاً، فنحن نستطيع اليوم مشاهدة الحمم المنصهرة في قاع البحار وهي تتدفق وتلهب المياه، ثم تتجمد وتشكل سلاسل من اجبال قد يبرز بعضها إلى سطح البحر مشكلاً جزراً بركانية مثل جزر اليابان والفلبين وأندونيسيا وغيرها، ولقد تأكد العلماء أن هذه الظاهرة موجودة في كل البحار والمحيطات، وإن كانت تكثر في مكان وتقل في مكان آخر، وأن البراكين في قيعان البحار أكثر عددًا وأعنف نشاطاً من البراكين على سطح اليابسة، هذه الحقيقة العلمية حدثنا عنها القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، عندما قال ﷻ: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (الطور: ٦).

وكلمة (سجر)، كما سبق شرحها في اللغة تعني: أشعل وأحرق، ولم يكن أحد على وجه الأرض يتخيل هذا الأمر، ولكن الرسول الكريم ﷺ لا ينطق عن الهوى إنما بلغنا القرآن كما أنزله عليه ربه دون زيادة أو نقصان. والمبهر في هذا القسم القرآني تلك الصياغة المعجزة (بالبجر المسجور)، وذلك؛ لأنه نظراً لعدم وجود أوكسجين في قيعان المحيطات فلا يمكن للصهارة البركانية المندفعة عبر الصدوع أن تكون مشتعلة على طول خط الصدوع، ولكنها عادة ما تكون داكنة السواد، شديدة الحرارة (شكل ٢٩)، دون اشتعال مباشر، تشبه صاج الفرن البلدي إذا أحس أسفل منها بأي وقود، فإنها تسخن سخونة شديدة يمكن من خبز العجين عليها، وهذا هو القصد اللغوي تماماً لكلمة (المسجور)، ويعجب الإنسان من هذه الدقة العلمية واللغوية الفائقة في الصياغة القرآنية لكلمة (المسجور)؛ حيث لا توجد كلمة يمكن أن تحل مكانها أو تغني عنها. وأيضاً يلاحظ أن كلمة (المسجور) تفيد الاستمرار، فالبهار منذ ملايين السنين يشتعل قاعها، وبالرغم من ذلك لا يتبخر الماء ولا تنطفئ النار. وبالإضافة إلى ما سبق سنلاحظ شيئاً جديداً في أسلوب القرآن الكريم، وهو أنه يستعين بالحقائق العلمية لتأكيد الحقائق المستقبلية، فكما أن البحار نراها اليوم تشتعل بنسبة قليلة ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ (الطور: ٦)، فسوف يأتي اليوم عندما تشتعل جميعها ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ التكوير: ٦، ثم يأتي يوم تنفجر هذه البحار كدليل علمي على يوم القيامة: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار: ٣).

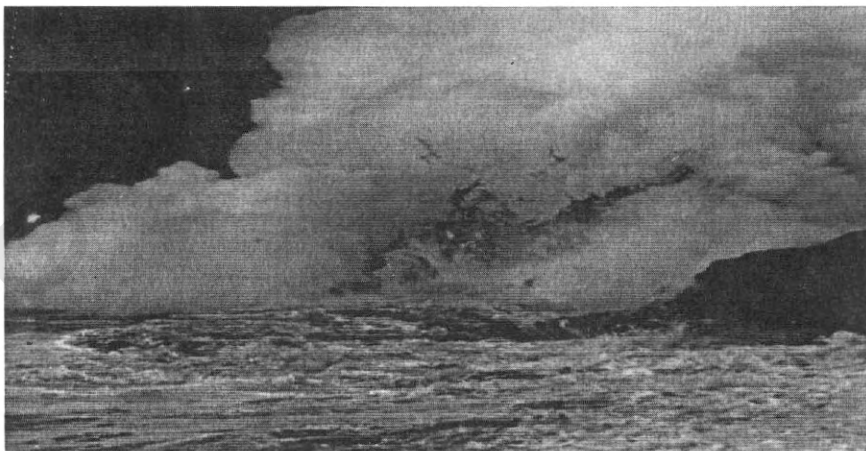
وأخيراً نستطيع أن نقول: إن الذين اكتشفوا هذه البراكين التي تخرج من قاع البحار والمحيطات لا يعلمون شيئاً عن القرآن الكريم، ولا

يعلمون أن الله تعالى أقسم بالبحر المسجور منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، أي: البحر الذي يخرج من قاعه الحمم البركانية، والقسم في هذه الآية تأكيد مطلق من الله ﷻ على وجود البحر المسجور، وهذا القسم الذي يعلم الله أن البشرية ستكتشفه في يوم من الأيام هو حجة قوية وقاطعة على علماء الغرب على عظمة وقدرة الله تعالى والدلالة على صحة القرآن الكريم كي يؤمنوا به ويصدقوه، وإن لم يفعلوها، فقد بين الله لهم أنه الحق وأن كتابه حق وأن رسوله ﷺ حق، ولذلك يقول الحق تعالى في أواخر سورة الطور عن القرآن:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾  
(الطور: ٣٣-٣٤)



شكل (٢٦): الغلاف الصخري الخارجي للأرض وهو ممزق بشبكة من الصدوع.



شكل (٢٧): الحمم المنصهرة من باطن الأرض على شكل براكين.



شكل (٢٨): فالنيران تشتعل في قاع البحار بشكل دائم



شكل (٢٩): الصهارة البركانية المشتعلة شديدة السواد.